



إن ما نلاحظه على العديد من الجماعات والحركات الإسلامية عدم اهتمامها بكسب الحاضنة الشعبية وذلك بسبب انطلاقها من قاعدة واجب إقامة شرع الله في الأرض دفعة واحدة وأن التمكين يكون بقوة السلاح والنظر إلى الشعب بأنهم ضالون فاسقون وقد جاءت هذه الجماعات لإخراجهم من الظلمات إلى النور وهذه النظرة كانت سبباً في الابتعاد عن الحاضنة الشعبية وقلة الاهتمام بهم وإجبارهم على تطبيق أفكارهم ومعتقداتهم مما أدى إلى فقدان الثقة المتبادلة بين الحاضنة الشعبية وهذه الجماعات الإسلامية.

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اهتمامه في بداية أمره بكسب الحاضنة الشعبية وكان يرى التمكين من خلال تلك الحاضنة فهو لم يعلن عن دولته إلا بعد كسب الحاضنة الشعبية.

ذهب إلى الطائف ليقنعهم قابلوه بالاستهزاء والشتم والسب فأرسل الله عز وجل له جبريل ومعه ملك الجبال عارضاً عليه أن يطبق عليهم الجليلين وكان من الممكن أن يحصل له التمكين بالقوة لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرغب أن يحصل له التمكين بالقوة بل بالإقناع وبعد ذلك عندما وجد في المدينة المنورة الحاضنة الشعبية التي ستستقبله وتستقبل دعوته هاجر إلى المدينة المنورة وأعلن عن ولادة الدولة الإسلامية وسرعان ما ظهر أثر الحاضنة الشعبية في أول وأهم غزوة في التاريخ الإسلامي غزوة بدر، عندما أراد الرسول إعلان بدء الغزوة استشار الصحابة، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسني بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بر크 العمام لفعلنا. (صحيح مسلم: باب غزوة بدر الكبرى ومتى كانت - 1779).

هذا هو أثر الحاضنة الشعبية يظهر عند الملمات والشدائد فلم يكتف الرسول برأي المهاجرين أبو بكر وعمر رضي الله عنهم

إنما لم يعلن عن الحرب حتى أخذ رأي الأنصار وعرف أنهم يريدون الحرب.

ولم يكن كسب الحاضنة الشعبية في الحروب فحسب وإنما حتى في التشريعات الإلهية فهذه عائشة رضي الله عنها تقول إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنيوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً (صحيح البخاري، باب: تأليف القرآن، 4993).

ونحن نرى أن الحركات الإسلامية اليوم أول ما تطالب بتطبيقه إقامة الحدود فأين هم من التشريعات الإلهية والتدرج في التشريع...!

ولم يكن هذا فحسب وإنما تركت الشريعة كثيراً من الأمور الدينية لأهل البلد يفعلون ما يناسب مصلحتهم الدينية ومعاشرهم وكسبيهم عن موسى بن طلحة عن أبيه أنه قال: مررت مع النبي صلى الله عليه وسلم في نخل المدينة، فإذا أنس في رؤوس النخل، يلحفون النخل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يصنع هؤلاء؟) فقيل: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى، فقال: «ما أظن ذلك يغنى شيئاً» فبلغهم فتركتوه وتزعموا عنها. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنما هو ظن ظننته، إن كان يغنى شيئاً فليصنعوا، فإنما أنا بشر مثلكم، وإنما هو ظن ظننته، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله، فلن أكذب على الله» (مسند الإمام أحمد، 1400).

فالنبي صلى الله عليه وسلم تراجع عن اجتهاده عندما رأى فيه مشقة دينية على أهل المدينة المنورة فأين قيادة الجماعات الإسلامية من هذه التشريعات و سن القوانين التي تتناسب مع مصالح الناس ومعاشرهم وتتناسب مع أهل البلد فقد تراجع رسول الله عن رأيه إلى رأي أهل البلد.

يا قادة الحركات الإسلامية وأخص تلك الحركات في سوريا الحرة إن أردتم تطبيق شرع الله فعليكم بكسب الحاضنة الشعبية وكسب محبتكم في قلوبهم أولاً ولا تتغافلوا عنها بموضوع التمكين في السلاح والقوة فهذا التمكين الذي منحكم الله تعالى إياه بالقوة قد يسلبه منكم في لحظات وإن لم تكسبو الحاضنة الشعبية فستميل عليكم عند زوال قوتكم ميله واحدة. وإياكم أن تقعوا في أخطاء الماضي في الدول الأخرى واستفيدوا من التجارب السابقة فالحركات التي تفقد الحاضنة الشعبية هي الحركات الأسرع زوالاً دون أن تبقى أي أثر.

وإن أردتم إقامة شرع الله في بلد وهذا مطلبنا جميعاً فاكسبوا محبة أهل البلد وودهم وبعد ذلك هم الذين يطالبون بإقامة شرائع الله ولا تكرروا أخطاءكم في البلاد السابقة. واعلموا أن التمكين في كسب الحاضنة الشعبية وليس بقوة السلاح.

مركز عزام للدراسات والأبحاث

المصادر: